الأعلام الجغرافية عند الطهطاوى

للأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى

أولاً : الإطار العام :

١ - تعد كتب رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٢) - رائد الفكر العربى الحديث - مصدرا مهما لتعرف قضايا اللغة العربية فى بداية النهضة الحديثة فى عدد كبير من المجالات . إن مؤلفاته ومترجماته وتعليقاته تقدم لنا مادة وفيرة لبحث الأعلام الجغرافية من الجوانب اللغوية والمعرفية المختلفة . ويركز هذا البحث على هذا الموضوع فى ضوء ثلاثة كتب للطهطاوى ، أقدمها «قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر» (القاهرة ١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢ م) نصه المترجم من الفرنسية إلى العربية فى ١١٢ صفحة وألف له الطهطاوى سابقة مطولة فى مائة وخمس صفحات ، تضم معلومات عن البلدان والشعوب . وكان الطهطاوى على وعى بأنه فى مرحلة تحول لغوى مهمة صنع هذه الصفحات وحدد عمله فيها بإنه « شرح الكلمات الغريبة التى توجد فى كتاب قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر ، مرتبة على حروف المعجم مضبوطة حسب الإمكان ومفسرة على الوجه الأتم سواء كانت أسماء بلدان أو أشخاص أو أشياء .

ولما كانت هذه الألفاظ فى الأغلب أعجمية فلم ترتب إلى الآن فى كتب اللغة العربية ، وكان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها عريناها بأسهل ما يمكن التلفظ به على وجه التقريب ، حتى إنه يمكن أن تصير على مدى (فى الأصل : مدا) الأيام دخيلة فى لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية » (ص ٢) ، وهنا نجد وعى الطهطاوى بأهمية معرفة الألفاظ التى وصف أكثرها بأنه دخيل ومعرب وضرورتها لفهم الكتب الحديثة جعل من واجبه أن يحصرها ويشرحها .

كان الطهطاوى مدركا فى الوقت نفسه لطبيعة عمله اللغوى فى هذا المجال ، فهو يقوم لبنة فى صرح معجم العربية عبر القرون من خلال إضافات مهمة ، كتب الطهطاوى : ولو صنع المترجمون نظير ذلك فى كل كتاب ترجم لانتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجاء ونظمها فى قاموس مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التى ليس لها مرادف أو مقابل فى لغة العرب أو الترك ، فإن هذا يفيد التسهيل على الطلاب وبه تحصل

ألقى هذا البحث فى الجلسة العاشرة بتاريخ ٤ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م

الإعانة على فهم كل علم أو كتاب » (٢) . وهذه الفكرة ظلت أمام الطهطاوى فى عدد من كتبه ، فهو مدرك لكونه فى مرحلة جديدة فى تاريخ العربية ، وأن إكمال المعاجم العربية بالجديد يمكن أن يتم من خلال حصر الألفاظ المستحدثة تمهيدا لعمل معجم شامل لها أطلق عليه الطهطاوى اسم «قاموس» وهى الكلمة التى استقرت بعد ذلك إلى جانب كلمة معجم تسمية لهذا النوع اللغوى من الأعمال المرجعية.

٢ - يمثل البعد الجغرافى أهمية خاصة فى مقدمة كتاب «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» (القاهرة ١٨٣٤) للطهطاوى إلى جانب البعد التاريخى الحضارى والبعد المتصل بتاريخ العلم ، خصص الطهطاوى الباب الثالث من المقدمة « فى ذكر وضع البلاد الإفرنجية ونسبتها إلى غيرها من البلاد » (طبعة حجازى ص ١٥٣) ، وهنا نجد صفحات تضم معلومات جغرافية عن القارات ، ويسميها الطهطاوى الأقسام (ص ١٥٣ - ١٥٧) وفى سياق تفصيل المعلومات عن فرنسا نجد الطهطاوى يشرح بعبارته عددا من الأعلام الجغرافية شرحا مفصلا من الجوانب اللغوية إلى جانب تدوينة لمئات الأعلام الجغرافية حتى إن الكشاف المعجمى الذى أضيف فى أحدث الطبعات يضم أكثر من خمسمائة علم جغرافى وردت فى صفحات الكتاب .

٣ - ترتبط ريادة الطهطاوى فى الجغرافيا بترجمته لكتاب كبير ، هو «الجغرافية العمومية» تاليف ملطبرن ، وهو عمل كبير ذو أهمية فى دراسة الأعلام الجغرافية من الناحية اللغوية . ولما كان الكتاب قد تناول الكشوف والقارات والدول والنظم والأصول التاريخية وغير ذلك فقد وردت به آلاف الأعلام الجغرافية والأسماء المختلفة لأماكن كثيرة على مدى القرون . وهذه المادة لها أهميتها فى التاريخ اللغوى ، وعلى وجه الخصوص من ناحية المعرفة بالاسم العربى والمقابل الأوربى وكذلك من ناحية المعرفة بالاسم القديم والاسم الجديد مما يفيد - أيضا - فى جانب من علم اللغة ، وهو تاريخ المفردات العربية أو بعبارة أكثر تحديدا : التاريخ اللغوى للأعلام الجغرافية .

ثانيا : التأصيل التاريخى للأعلام الجغرافية :

١ - اهتم الطهطاوى بالتأصيل العربى لعدد من الأعلام الجغرافية التى لها ذكر فى التراث . نجد أمثلة لهذا كله فى أسماء الأماكن فى الأقطار العربية والبلاد المعروفة للعرب . يرد الطهطاوى الأعلام الجغرافية إلى

صيغها العربية فى التدوين بغض النظر عن صيغها الأوربية وليس ثمة مشكلة عنده فى رد الأسماء إلى صيغها العربية المألوفه : حلب ، حماة ، بغداد ، تونس، عكا (تخليص ٢٠٠) ، صور (تخليص ١٤٥) . أما المناطق التى كانت معروفة للعرب ، ومنها أرمينية (تخليص ١٥٤) ، الهند (تخليص ١٥٥) ، قبرص (تخليص ١٥٤) ، جاوة (تخليص ١٥٩) ، فقد ذكرها الطهطاوى بأسمائها المألوفة فى التراث العربى .

٢ - التأصيل العربى لأسماء الأماكن فى الأندلس وصقلية :

شغل الطهطاوى بذكر الأعلام الجغرافية فى الأندلس وصقلية اعتمادا على الصيغتين العربية والأوربية . اسم صقلية ذكر بثلاث صيغ : صقالية ، صقلية ، صقيلية ، إلى جانب النص على أنها فى وقت الطهطاوى « شهيرة باسم «سيسيليا» بالمهملتين أو المعجمتين المكسورتين » (قلائد ٥٨) ، أما مدينة غرناطة فقد ذكرت بصغتين ، هما الاسم العربى «غرناطة» بتحريك الغين ، وبصيغة أخرى تقوم على أساس قاعدة تجنب البداية بصامتين ، فى مقابل Granada نجد : إغرناطة ، ويذكر فى شرحه لمعنى الكلمة : « وهى معربة من لغة إسبانيا عن إغرناطة التى معناها رمانة » (قلائد المفاخرة) ، وثمة أعلام للأماكن لها صيغة عربية واحدة اعتمدها الطهطاوى إشبليةأو أشبيلية (تخليص الإبريز) .

٣ - التأصيل العربى لأسماء الأماكن فى أقاليم أسيا والمحيط الهندى :

تشكل الأسماء فى جنوب شرقى آسيا موضوعا عنى به الطهطاوى ، وعن جزيرة سومطرا كتب : « وفى الكتب العربية يقال لها سبرمة بضم السين المهملة وسكون الموحدة وفتح الراء والميم فتاء تأنيث ، وقال بعضهم إنها مسماة فى كتب العربية سمندر بفتح السين والميم وسكون النون وفتح الدال فراء ، والظاهر جزيرة سمندر هى ما يسمى عند الإفرنج مدا غشقار بجزائر إفريقية » (قلائد ٥٤) ، أما الجزر التى عرفها الرحالة والتجار العرب فحاول الطهطاوى رد أسمائها إلى صيغتها العربية عن اسم جزيرة سيلان كتب : « ثم إن بعض الإفرنج جعل هذه الجزيرة هى المشهورة فى كتب العربية باسم جزيرة سرنديب ..... (قلائد ٥٥) .

٤ - تأصيل أسماء الأماكن فى القارة الأوربية :

أصل الطهطاوى عددا من الأعلام الأوربية من ذلك اسم باريس « ومعناها فى اللسان القديم الفرنساوى سكان الأطراف والحواشى » (تخليص الإبريز ١٩٦) . وذكر الطهطاوى فى تأصيل كلمة «أولمبقية» أنها « نسبة إلى أولمبيا مدينة من مدن المورا كان اليونان يعلنون بقربها كل خمس سنوات لعبا مخصوصا » (قلائد المفاخر ١٣) .

ثالثا : القضايا الصوتية :

١ - طريقة الضبط :

اعتمد الطهطاوى العرف القديم فى الضبط بتسمية الحروف وحركاتها أو سكونها ، وعند تعدد صيغ الاسم يكتفى بضبط الصيغة المختارة أبريزيلة بسكون الموحدة وكسر الراء بعدها مثناة تحتية فزاى مكسورة فتاء تأنيث ، ويقال أيضا أبرزيلة وأبرزيل بفتح الراء » (قلائد ٢) .

٢ - الاعتماد على النطق الفرنسى :

أكثر اعتماد الطهطاوى بالنسبة للأعلام الجغرافية فى أوربا والعالم الجديد على الصيغة الفرنسية لها . كتب لندرة Londrès ، ولم يعتمد الصيغة الإنجليزية London واسم الإقليم الألمانى Schwaben نقل على أنه سوابيا بضم السين المهملة فواو بعدها ألف ، وقد يقال صوابيا أو صوابة بالصاد المهملة إقليم من أقاليم ألمانيا » وكل هذه الصيغ لا تبدأ بالشين الألمانية ، بل قامت على أساس الصيغة الفرنسية لعلم جغرافى ألمانى ، وكذلك اسم الشعب : ألمان وليس Deutsch وكذلك ريوجانيز (تخليص ١٥٧) .

٣ - تجنب البداية بصوتين صامتين :

البنية المقطعية للعربية تجعلها تتجنب البداية بصامتين على عكس لغات أخرى ، منها الفرنسية حيث يجوز بدء المقطع بصامتين ، كان الطهطاوى يحول هذا النمط إلى العربية باحدى طريقتين إضافة همزة وحركة قبل الصامت الأول أو إدخال حركة بين الصامت الأول والثانى :

- إبريزيل .... Brésil ... (قلائد ٢)
- إغرناطة .. Granada .. (قلائد ٥)
- فرانسا France (تخليص ١٦١ ، ١٧٦)
- برونسة ... Provence (قلائد ٢٧)

رابعا : تدوين الأصوات الأجنبية بالحروف العربية :

١ - تدوين صوت Q / C / K

هذا الصوت نقله السريان إلى القاف تجنبا لمشكلة الصورتين الصوتيتين للكاف فى السريانية ، فكانت صورتها الصوتية بعد أية حركة قصيرة أو طويلة تجعلها خاء ، وكان الحل المنشود يجعل تدوين صوت K / بحرف القاف العربية ، وقد استمر هذا العرف وأفاد منه الطهطاوى إلى حد بعيد ، وذلك مثل : موسقو (قلائد المفاخر ٢) ، قلقوطا (قلائد المفاخر ٧١) أو قيانوسية (تخليص الإبريز ٥١٤) قورسقة (تخليص الإبريز ١٨٠) ، نويرق (تخليص الإبريز ١٥٧) ، ولكن ثمة أمثلة لتدوين هذا الصوت بالكاف العربية : أمريكة (قلائد المفاخر ٢) ، (بلاد) مكسيك (تخليص الإبريز ١٥٧) . وهذا العرف الجديد بدأ محدودا عند الطهطاوى ثم استقر بعد ذلك .

٢ - تدوين صوت T :

هذا الصوت نقله السريان إلى حرف الطاء العربية تجنبا لمشكلة الصورتين لصوتين للتاء السريانية ، كانت صورتها الصوتية بعد الحركات تجعلها ثاء ، وتجنبا لذلك تم نقلها طاء ، وقد استمر هذا العرف عند الطهطاوى فى تدوين الأعلام الجغرافية : إيطاليا Italia ، طسكانة Toscana .

٣ - تدوين صوت G :

هذا الصوت نقله السريان إلى الغين تجنبا للخلط بين الجيم الاحتكاكية العربية الشمالية والجيم الشديدة العربية الجنوبية . ومن أمثلة استخدام هذا النظام عند الطهطاوى : البرتوغال (قلائد ٣٥) ، غرونلند (قلائد ٧) . ولكن هذا النقل لم يكن مطردا ، فقد استمر عنده تدوين ذلك الصوت بالكاف (اختصارا للكاف الفارسية) فى أمثلة أشهرها : إنكلترا وكذلك غينا ، كينا (قلائد ٦٤) . أما الكلمات التى نجد فيها حرف الجيم فقد نطقها الطهطاوى جيما فرنسية احتكاكية مثل جرمانية (قلائد ٦) Germani (que®) .

٤ - تدوين صوت V :

هذا الصوت الشفوى المجهور لا يوجد فى العربية وقد أفاد الفرس والترك من حرف الواو العربية لتدوين هذا الصوت ، واستمر ذلك العرف عند الطهطاوى : بتاويا Batavia†(تخليص ١٥٧) ، بولوية Bolevia(تخليص ١٥٦) ، وكذلك البلوار Boulevards

٥ - تدوين صوت P :

كـان الطهطاوى أول كـاتب عـربى حـديث يحـاول تقنين تدوين هذا الصـوت الشـفـوى المهموس بالحروف العربيـة ، وجعل لذلك حرف الياء المثلثة ويسميها الپاء الفارسية ، ولذلك نجد عنده ذلك التدوين فى (أورپا) وقد ضبط هذا الاسم « بضم الهمزة بعدها واو ساكنة فراء مضمومة ، فپاء فارسية بعدها ألف » (قلائد المفـاخـر ص ١٠) ، ونجـد هذا التـدوين فى الأعلام الجغرافية : الپروسيا (قلائد ١٠) ، ياپونيا (أى اليـابان ، قـلائد ١١) أولمپـيا (قلائد ١٣) ، وشبيه بهذا من خارج مجال الأعلام الجغرافية پاپا رومة (قلائد المفاخر ١١) ، وقد اهتم الطهطاوى بطباعة هذا الحرف بالپاء الفارسية أو الپاء المثلثة ، وكأنها كانت قد أصبحت حرفا مستقلا فى صندوق الطباعة العربية .

٦ - تدوين الحركات القصار :

الحـركات القـصار فى الفرنسـية لم يعبر عنها عندمـا نقلت بحروف عربية ، أصبحت الدلالة على الحركات القصيرة الأوربية مرتبطة بالفتـحة أو الضمـة أو الكسـرة فى العـربيـة : نرماندیا Normandie (تخليص ١٧٧) ، مسـينة (تخليص ١٧٩ ، ١٨١) ، اسكريال Escorial (ملطبرون ١ / ١٤٣) .

خامسا : القضايا المعجمية :

١- المصادر غير العربية للأعلام الجغرافية :

أفاد الطهطاوى من عدد كبيـر من الأعلام الجغرافيـة ذات الأصول الفـارسيـة والتركيـة : قـابولستـان (قـلائد المفـاخـر ٦) ، وكـذلك : وبلوجستـان ، عجمستان (قلائد المفاخر ١١) ومنه أيضـا : إفـرنجسـتـان (تخليص الإبريز ١٥٤ ، ١٦٦) ، وإلى جانب أسمـاء الأعـلام المتداولة فى العربية والتركية والفارسية نجد الطهطاوى يستقى أسماء الأماكن الأخرى من لغـات أوربيـة ، اعـتـمـد الطهطاوى الصـيـغـة الفرنسـية لعدد كبير من أسماء الأعلام ، من ذلك اسم أكـبـر دولة فى العـالم الجـديد : إيتازونيا أو إيتازونى (قلائد المفاخر ١٤) ، ويتضح من ضبطه للكلمة أنه يفضل الصيغة الأخـيـرة الأقـرب إلى الصـيـغـة الفـرنسـيـة Etats unis، وقـدَّم فى سيـاق الشرح أنها

« دولة مركبة من عدة أقاليم مجتمعة » وبعض أعلام الأماكن معتمد على الصيغة الإيطالية ، من ذلك الأسماء : إيطاليا Italia سردانيا Sardinia طسكانة Toscana ، نابولى Napoli .

٢ - تعدد صيغ الاسم الواحد :

التعدد فى صيغ الاسم الواحد ظاهرة تكرر فى عدد كبير من الأعلام الجغرافية « عن مدينة باريس كتب الطهطاوى : تسمى عند الفرنسيس بارى ... ثم إن العرب والترك ونحوهم يكتبون باريس أو بريس أو باريز ، وربما قالوا فارس (تخليص الإبريز ص ١٩٥) وبعض أسماء الأماكن مكتوب على نحو متعدد الصيغة ، فى مادة : أسوج : « وربما سميت بلاد السويد أو بلاد سويج أو بلاد أسويجة (قلائد المفاخر ٥) .

وإلى جانب هذا نجد وحدات معجمية تكونت على أساس الصيغة الأوربية ، وهى صيغ نسب ترجع إلى الصيغة الفرنسية ، ثم تلحق بها ياء النسب العربية ، وبذلك تنشأ صيغة تحمل نهايتى النسب الفرنسية والعربية ، ومن ذلك صيغة بارزيانى (تخليص ١٩٥) المكونة من Paris + ien ثم ياء النسب العربية . ومثل هذا فى صيغة النسب بريطانيقية (قلائد ٨) المكونة من Britannique ثم ياء النسب العربية ، وفى المثالين نجد النهاية الفرنسية ثم النهاية العربية . ومن ذلك أيضا : الأطلنطيقى Atlantique (تخليص ٥١٥) ، وهكذا اعتمدت هذه الكلمات على الصيغة الأوربية كاملة ثم أضيفت إليها ياء النسب العربية .

وبعد ، فإن من أهم ما يمكن عمله فى مجال التاريخ اللغوى للأعلام الجغرافية جمع كل أسماء الأماكن المذكورة فى كتابات رواد النهضة الحديثة ، مع كل الجوانب اللغوية الخاصة بالتدوين والتأصيل والدلالة وغير اللغوية الخاصة بالموقع والتاريخ والشعوب وغير ذلك مماورد فى كتاباتهم وترجماتهم وتعليقاتهم هذا كله فى سبيل إعداد معجم لغوى تاريخى للأعلام الجغرافية ، تتعدد مصادره بين المعاجم العربية العامة وكتب الجغرافيين وكتب الرحالة والمؤلفات والمترجمات الحديثة .

محمود فهمى حجازى

الخبير بالمجمع